قرأت العدد الماضي من "الآداب"

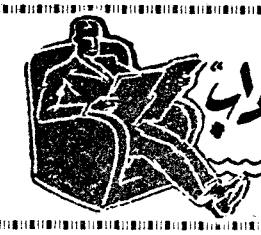

بقلم
الدكتور سهيل ادريس

بدعة عجيبة ولا شك، ان يقدم رئيس تحرير المجلة على نقد احد أعدادها فهو إذ يفعل ذلك ، انما ينقد نفسه الى حد ، ويرضى بتعريض ذاتـــه الى الحرج ، والمهم هنا ان يكون صريحاً وصادقاً ، والا ضاعت الفائدة ، ولم يتعد الامر ان يكون نكتة للتسلية .

والواقع ان الادباء الذين اقدموا من قبل على تحرير هذا الباب ، قد واجهوا قدراً قليلاً او كثيراً من الحرج ، لأكثر من سبب . فقـــد يكون بين من يُدعون الى نقدهم صديق عزيز عليهم يضيق صدره بالنقد، وهم لا يرغبون في ان يخسروا صداقته ، اذا التزموا الصراحة التـــامة في الحديث ، او يكون فيهم من يعاني مشقة في التعرض لموضـــوع يؤثر ان يتعرض له من هم اكثر اختصاصاً منه ، او يكون فيهم من أصبح يوجس خيفة من هذه الحراب التي يرشق القراء بها الناقد ، دفاعاً عن انفسهم او عن سواهم ، في باب « مناقشات » الذي يقترح بعض القراء الغاءه بسبب ما يثيره من ضغائن ...

وأني اغالط نفسي واخدعها اذا زعمت اني لا اواجه من الحرج أعظمه، اذ اقدم على تحرير هذا الباب في هذا الشهر ، لاني اخشى جميع الاسبـــاب التي ذكرت . فلي بين كتاب هذا العدد اصدقاء كثيرون، وانا لست جديراً بالتحدث عن جميع المواد حديث عارف مختص ، ثم اني اخشى السنة الكتّاب والادباء الذين اعتقد ان نشر ما يوافون به « الآداب» هو واجب مقدس علي ، شريطة الا يخرج عن لهجة الرصانة الى لهجة المهاترة ...

وبعد ، فاني مقر بأني انا الذي اخترت المادة المنشورة ، وان نقدهـــا يعني ، الى حد ، نقد الاختيـــار . ولكن الواضح ، مع ذلك ، اني لا اختار للنشر أحسن المادة الادبية إطلاقاً ، بل اختار أحسن المادة الادبية التي تصلني . « فالآداب » انما تعكس ، في آخر المطاف ، الانتاج الادبي الحر في الحديث ، بحسناته وسيئاته . وهي ، في اقتباساتها الاجنبية ، ترتكز على امكانيات محدودة ، وتظل خاضعة ، في تقييم الآثار ، لاجتهاد خاص .

ولا يعني نشر المادة ، ان المحرر راض عنها كل الرضى ؛ ولكنه يعني على كل حال ان في الامكان الرضى عنها .

ومن أجل هذا ، أجد حريتي غير مقيدة بقيد في قراءة العدد الماضي ، الا بقيد العجز عن ان اوفي النقد حقه ، وهـــذا العجز مردود في الواقع الى عدم امكان الاختصاص في تذوق الفنون الادبية على اختلافها . ومن هنا كان منشأ بعض الغبن لبعض الادباء ، اذ يتحدث عن الشعراء منهم من لم يملك عدة التذوق الشعري ، وكذلك القول عن القصاصين والدارسين . ولعل هذا ما يحمل « الآداب » على ان تعهد في نقد كل عدد من الاعداد القادمة الى ثلاثة ادباء ، يتذوق أحدهم الشعر تذوقاً رفيعاً، ويتذوق الآخر القصة ، ويملك الثالث عدة الدراسة والبحث . ولعل الغبن ان يزول آنذاك او ان يضعف على الاقل .

★

الشعر

اود هنا ، قبل ان أستعرض قصائد الشعر التي ضمها العدد الماضي ، ان ابدي بعض الملاحظات على نقد الدكتور علي سعد للشعر الذي تنشره « الآداب » . ففي صدد الحديث عن قصيدة نشرت في العدد الاسبق ، قال الدكتور سعـــد : « إنه ليس من خطر على مذهب الالتزامية في الأدب والدعوة الى الشعر الاجتماعي اكبر من الخطر الكامن في مســـايرة المحاولات التي لا يشفع بها إلا انها تتحدث في موضوع متصل بهمومنا الوطنية . فان الشعر الاجتماعي لن يستطيع فرض نفسه إلا اذا بدأ بأن يكون شعراً ، اي الا اذا بدأ بالتفرد بطابع الجمال الفني » .

انني اوافق الناقد الكريم على ان الشعر ينبغي ان يكون شعراً قبل كل شيء . ولكن المناسبة التي اوحت له بهذا القول قابلة للمناقشة . فهو قد خلّى قصيدة « المغرب العربي » التي نشرت في الصفحة الاولى من العـــدد الأسبق (وهي للشاعر العراقي خالدالشواف) من كل شاعرية ، ووصفها بانها « كلام أعد لأن يكون شعراً فما افلح ، رغم تسلحـــه بالوزن والقافية والنغم » وإنها « قـــالب شعري ولا شعر » وأنها « كلام تستطيع ان تجد مثله في اية جريدة سيارة وفي منظومات الصفوف التي يدرس فيهـــا علم العروض ، فتخرج منه دون ان تمسّ بأي انفعال ولا بأي غنى في إحساسك وتجربتك ولا بأية رجة في كيانك »

وليس من همي الآن ان اناقش صحة هـــذه الاحكام ، ولكني آخذ على الناقد انه أطلقها من غير ان يقدم بين يديها البيّنة ، فظلت تهماً تحتاج إلى اثبات . وقـــد كان يحسن ان يبين « لماذا » لم تفلح القصيدة في ان تكون شعراً ، وبعبارة اخرى كان عليه ان يقدم لنا مقاييسه الشعرية ، ما دام قـــد أطلق هذه الأحكام . والواقع اننا نراه يتهرب من ذلك حين يقول : « وليس هنا مجال تحديد الشعر او مقومات الجمـــال

الفني » وهذا موقف عجيب ، موقف من يقول : ان هـذا ليس شعراً ، اما اسباب ذلك ، فليس هذا مجال تبيانها !

ولعل الدكتور سعد قد شعر بضعف هـــذا الاسلوب النقدي ، فأراد ان يعوض عنه بمقارنة عقدها بين « المغرب العربي » و « مذكرات اندلسية » لنزار قباني. ونحن نحسب ان هذه المقارنة لم تزد في كشف الاسباب التي حملته على اطلاق تلك الاحكام ، لانه لم يذكر اسباب اعجابه بـ « مذكرات اندلسية » الا بالحديث عن أثرها في نفسه ، والحـديث عن الأثر هو وضع للنتيجة في محل السبب ، اي انه قلب للقضية . ويوسع القارىء بعد ذلك ان يتساءل عما اذا كان الناقد لا يناقض نفسه قليلا حين يوازن بين شعر ونثر . انه يطلب من الشعر ان يكون شعراً قبل كل شيء ، فكيف يبيح لنفسه ان يُلغي النظم من قصيدة حين يقارنها بكلام منثور ؟ قد تكون المادة في « مذكرات اندلسية » شعرية ، ولكنها ليست شعراً ، ولا شك في اننا نخطيء حين نقـــارن شعراً بروح شعرية ، لاننا نُسقط من حسابنا القالب الذي هو ركن اساسي في الشعر ، ولاسيما الشعر العربي .

أعود فاكرر انني لا أقصد هنا تقييم نقد الدكتور سعد من حيث صحته او خطأه ، وانما آخذ عليه هـــذا الاسلوب النقدي الذي لا يصدر عن مقاييس موضوعية واضحة ، وأحسب ان معظم الغبن الذي يُصيب كتاب « الآداب » ، من نقادهم ، مردود الى مثل هذا المأخذ .

★

القصيدة الاولى التي تطالعنا في العدد السابق هي قصيدة « العندليب المهاجر » ليوسف الخطيب ، هذا الشاب الذي استطاع في فترة قصيرة من الزمن ان يكون صوتاً عذباً من هذه الاصوات التي تحدو الجيل العربي الجديد وتغني آماله وآلامه ، وتثير فيه نوازع التمرد والثورة على الوضع الباهت الذي تفرضه عليه الحياة . وهذه القصيدة مناجاة لطائر نزح هو ايضاً مع النازحين من ارضنا العربية الدامية ، فاذا هو حديث هادىء صاخب ، فيه كآبة الذكريات عن وطن ضاع ، وغصّة الالم لحقول خلّفها اهلها في مأتم ، وثورة الكرامة لنفوس اصيبت بالذل ، وعنفوان القسم على استرداد الضائع ، ومحو العار .

وروعة هذه القصيدة تنبعث من ذلك المزيج العجيب من

اوفى الدراسات

الموضوعة والمترجمة عن الفنون ، مع عدد كبير من الرسوم واللوحات ، في العدد القادم.

احاسيس الذكريات والرؤى وصيحات التمرد والثورة . فوحدة الجو الايحائي انما تتم بتوزع تلك الذكريات والرؤى والصيحات ، تصهرها أحاسيس الالم . وقوة شاعرية الشاعر تتضح بقدرته على ابتعاث تلك الصور في لهجة هي اللهفـــة كلها والحنين :

كيف الحقول تركتها في عرس آذار
ومتى لويت جناحك الزاهي عن الدار ؟
. . . . .
لو قشة مما يرف ببيدر البلد
خبأتها بين الجناح وخفقة الكبد
لو رملتان من المثلث او ربى صفد
لو عشبة بيد ، ومزقة سوسن بيد

هذه الاشياء الصغيرة : القشة والرملتـــان والعشبة ومزقة السوسن ، محملة بطاقة تعبيرية كبيرة تجسم كل فاجعتنا بالضياع . وقد استطاع الشاعر ان يبعثر ايحاءاتها ليجمعها كلها في آخر بيت من كل مقطع تعبيراً عنيفاً عن أثر المـــأساة في النفوس : « لكأن في عينيك بعض اللمح من وطـــني » — « دفء العروبة في شراييني وملء دمي . » — « عجباً اتيتنا من غير تذكار ؟ » —

داري ، وفي عيني والشفتين نجواك
لاكنت نسل عروبتي ان كنت انساك

وبعد ، فهذه قصيدة توفر لها من الشاعرية وعمق الاحساس بالموضوع وقوة التعبير ما يجعلها من عيـــون شعرنا القومي الحديث . ولا أحسبها الا تصح شاهداً عـلى ان بوسع بعض شعرائنا المحدثين ان يقولوا شعراً هو قبل كل شيء ، شعر ، وهو في اثناء ذلك متصل بهمومنا الوطنية اتصالاً عميقاً ، وفي هـذين الامرين تزاوج سعيد غاية السعادة .

اما قصيدة « هولاكو الجديد » لناجي علوش ، فهي في طاقتها الايحائية أضعف من « العندليب المهاجر » وإن كانت مثلها تهتم بهم من همومنا القومية . ولعل ذلك مردود الى أن

مادة المضمون – كما يردها الشاعر – مادة ملحمية ، وهذا يعني ان إطار القصيدة القصيرة يعجز عن استيعابها. ان الشاعر لم يُطلق لنفسه العنان في تفصيل الصور الملحمية، بل رسم لها خطوطاً سريعة موجزة بدت في إطارها مخنوقة متقطعة الانفاس، تذكّر بمحاولة بعض كتاب القصة القصيرة الذين يحسبون الاقصوصة تلخيصاً وضغطاً للرواية الطويلة . ولقد حشد الشاعر صوراً ضخمة كثيرة لم يستغلّ مادتها الخام باستخراج الالوان والاضواء والتأثرات منها ، فأتت ركاماً متلاحقاً تعوزه هدأة النفَس الشعري المديد الموحي . ولو أنه اجتزأ بالقليل من هذه الصور وأراق عليها ما ينبغي لها من انفعالات ، لكان اكثر فلاحاً . والحق ان استهلال القصيدة كان يَعِدُ بمثل هذا ، وكان الختام جميلاً موفقاً بما يوحيه من آثار المعركة :

وهناك لم تزل السنابل والمناجل والحقول
مجنونة الاشواق تنتظر الحصاد
وفلول قافلة الجهاد
لكنها ظلت نداء في الجبال وفي السهول
للطير ... للارض الحبيبة ... للذبول .

ولا بدّ لي من ان اشير الى ملاحظة لاحظتها في قراءة هذه القصيدة : إن صاحبها متأثر دون شك بنزار قباني في قصيدته « خبز وحشيش وقمر »، وتأثره يتجاوز الايحاء احياناً الى الشكل والوزن والقافية . واحسب ذلك من الوضوح بحيث اعفي نفسي من المقارنة .

والاحظ كذلك ان قصيدة « معايدة من باريس » لمحمد جميل شلش متأثرة هي ايضاً بشعر البياتي ، ولا سيما بنزعة الترديد ، هذا الترديد الذي لا يكون دائماً لتثبيت الصورة او لتكثيف الشعور ، بل قد يكون حشواً لا طائل تحته . على ان هذه القصيدة غنية بما تبثه في النفس الواعية من ارجاع . انها تقطر سخرية وأسى لما نحن فيه من سدور ، وفيها تصوير موجز لاهتماماتنا البليدة التي نلوكها في غير وعي . ولعل التصوير بهذه اللهجة اشد تأثيراً على النفس من لهجة الادعاء والتفاؤل . انها سلبية تؤدي الى الايجابية اكثر فعالية ، وعبارة القصيدة ، بعد ذلك ، متوترة نابضة تتناغم مع الغصة النفسية التي يضطرب بها المعنى .

واما قصيدة « هي ومدينتي » فيسيرة بسيطة . ولكني لا ارى في مضمونها الا فكرة واحدة يتوسل الشاعر لاظهارها بمقدمات طويلة تبدو ازاءها أشبه بثوب فضفاض على جسم نحيل . الفكرة هي ان المدينة – مدينته – تزخر بالفساد وباللصوص، ولكن الابرياء الطيبين فيها كثيرون، وهم يمثلون الاماني الوضيئة . والواقع اني لم ادرك جلياً الرابطة بين الحبيبة والمدينة ؛ ان الشاعر يشبهها بها : اتراها هي ايضاً فاسدة ، وهي مع ذلك بريئة ؟ اني اكاد احسب ان الاطار الغرامي الذي أحاط الشاعر به فكرته هو اطار مصطنع ، لا ينطبق مع واقع الحال الذي يقصد اليه.

ثم انا نسمعه يقول :

وسألتني ...
« كم ذا تراني يا رفيق العمر يا لحن السنين ؟»
فاجبت : « مثل مدينتي ...

وواضح من الجواب انها تقصد من السؤال « كيف تراني ؟» والواقع انها اساءت التعبير اذ جعلت الكيف كماً ... اما كان بوسع الشاعر ان يتفادى هذا الحرج ، وهو انما ينشد شعراً حراً يسهل فيه التعبير اكثر مما يسهل في القصيدة التقليدية ؟

★

القصص

« معبد بوذا » قصة لقصاص مبدع عرفه قراء « الآداب » منذ نالت قصته « صفعة سوط » الجائزة الاولى في مسابقة القصة منذ عامين تقريباً .

والميزة الاولى التي تسم اقاصيص هذا الاديب الشاب هي شدة التركيز . فهو يستقطب الفكرة والصورة والحدث استقطاباً شديداً لا بد للقارىء معه ، لكي يدرك القصة بكل تفاصيلها ، من ان يعيد تلاوتها اكثر من مرة . ولعلّ هذه ليست بالميزة الحسنة دائماً ، لان فيها إرهاقاً للقارىء في التتبع الموصول المجهد . ولكن القارىء اذ يبلغ ما يريده الكاتب ، تتكشف له امكانيات غنى وفيرة . ولهذا التركيز ، بعدُ ، طاقة كبيرة في اغناء التحليل النفسي، من حيث انه يوتّر الانفعالات ويرهف التأثرات ، فتكون لكل حركة معنى، ولكل نبسة صدى ، ولكل نظرة لهجة .

على اني أحسب ان الاستاذ صفدي لم يبلغ في هذه القصة التوفيق الذي بلغه في سابقاتها ، واني موجز اسباب هذا الرأي فيما يلي :

اولاً – إن القصة لم ترسم جميع أبعاد الحادثة رسماً طبيعياً متأنياً ، بل اقتسرت بعضَ هذه الابعاد اقتساراً واضحاً ، وتكلفته تكلفاً شديد الظهور ، حتى اوشكت ان تسقط في التجريد . فشخصا القصة الرئيسيان ، هو وهي ، يسبحان في ضباب غامض يحجب حقيقتهما الارضية ، حتى لنكاد نحسّ انهما مخلوقان خياليان، بالرغم مما يأتيانه من حركات بشرية يعوزها الثقل الانساني . فمن هي هذه الفتاة التي نصبت نفسها داعيةً للفكرة العربية تحثّ الشباب على الاضطلاع بالبطولة من أجلها وترسلهم هنا وهناك ؟: « إن لي شاباً كالصبح اشراقاً يعمل الآن في المغرب العربي ! » ان ما تحدثت به القصة عنها من انها تمردت على الزواج ، فشرعت تصبح بطلة ، لا يكفي

للتدليل عن وعيها ، ولا سيما الجانب القومي من هذا الوعي . وما هي ماهيتها بعد ؟ لقد حدثنا هو انه حملها الى احد المصايف وقضى اوقاتاً سعيدة معها ... وان حياتهما ستنتهي عند الصباح ... انها اذن فتاة للغرام ؟ وهي ايضاً تريد ان تتركه لتلتقي به دائماً بين الذرى ... ولقد حدثته قبل ذلك عن تردّيها وتساميها . أفتصلح هذه الفتاة لتكون داعية للبطولة العربية ؟ لقد شعرت من غير شك بغرابة دورها بل وباستحالته فقالت (او قال الراوي على لسانها) : « نعم ستكون قصتي غريبة ، وسيحسب بعض السذج انها اسطورة ، ولكن في القرن العشرين ، عصر العلم والذرة تحدث المعجزة ، ولا شيء مستحيلاً في امة الانبياء » وهذه عظة لا تزيد هذه الفتاة الا اسطورية ، فضلاً عن انها تفسد جمالية القصة . وان بعض الهلهلة يبين في شخصيته هو ايضاً حين ينقلب ، بعد لقاءٍ لهما ، الى حياة الصاعقة « تلك التي بدأها ضد نفسه ، ضد أطره ، ضد أصدقائه ، ضد العالم والله . » كأنما كان يكفي ان تدعوه فتاة الى الاضطلاع بالبطولة ليكون كذلك ... ان الامر في ذاته ممكن ولا شك ، ولكنّ ما ساقه الكاتب من مبررات أعجز من ان يُقنع بامكانه .

ثانياً — ان تأليف القصة غير قائم على تصميم متناسق قويم . « فالقضية » التي تدور حولها مضغوطة ضغطاً خانقاً في آخرها ، حتى لتبدو شبحاً من وراء حجاب ؛ ومن أجل ذلك يبدو البطلان وكأنهما ملصقان بها لصقاً . وان مقومات ثورة البطل لا تكاد تنحصر في غير احساسه بالفردية . والفردية هي حقاً مصدر الامة ، ولكن تحقيقها ، على مستوى الامة ، يحتاج الى تطورات نفسية عميقة لم يقدم الكاتب لهـا مبرراتها ومعاذيرها . ويوسع القارىء ، بالاضافة الى ذلك ، ان يلاحظ ان الصفحة الاولى من القصة التي تصور مكان البطل ، وهو في انتظار الفتاة ، هي على براعة التحليل والوصف ، خارجة تماماً عن خطوط القصة ، بحيث انه يسهل اسقاطها من غير ان تفقد القصة شيئاً من مقوماتها . ومعنى ذلك ان الكاتب لم يراع مبدأ الضرورة والاختيار ؛ فهـذه المقدمة او هذا الوصف للاطار لا يلقي ضوءاً هادياً على جو القصة النفسي .

ثالثاً — يبدو تأثر الكاتب كبيراً جداً بالتحليل الوجودي لظواهر الحياة . فتصويره للحركات وللافكار التي تنقلب اشياء وللاشخاص الذين يصبحون استطالات ولمعاني المدى والزمن والغد ، كل ذلك مما تتداوله الاقلام الوجودية الروائيه في معظم آثارها . وقد ذكرتني اوصاف حركة اليد في اول القصة باوصاف هذه الحركة في رواية سارتر الاولى « الغثيان » . ولا مأخذ في ان يكون الاستاذ صفدي او سواه متأثرين بالادب الوجودي او بالفلسفة الوجودية التي نستطيع ان نفيد منها كثيراً في خلق نماذج ابطالنا الروائيين ، بل قد يكون المأخذ انه عمد الى تسجيل هذه التأثرات في إطار ضيق من قصة قصيرة ، لا يتسع لاستيعاب تصويرات لا قيمة لها الا بما تؤدي اليه من امتدادات في الاحداث والافكار .

وبعد ، فأحسبني استطيع ان ألمّ ملاحظاتي على هذه القصة بقولي : ان فيها بذوراً كان ينبغي — حتى تؤتي اكلها — ان تنضج على نار متأنية .

واما قصة « صندوق الدقيق » بقلم فاضل السباعي ، فهي تصيب حظاً من التوفيق في وصف نفسية بائع الاقشة الجشع القابض اليد الذي يماطل ويسوف ويتشاغل ويتجاهل ، كل ذلك بروح من اللؤم والخبث . على ان القاريء يحسب وهو يقرأ القصة من اولها ان المؤلف سيعالج فيها قضية الأزمة التي يمر بها الحامي الناشيء ، اذ يحرم كسبه الاول من المحاماة . هذا الكسب الذي كان يرصده لشراء الدقيق . والواقع ان المؤلف يجعل من هذه القضية فيا بعد قضية ثانوية ، لينشغل بوصف مراوغات البائع ، ولذلك تبتعد قصته عن ان تكون « قصة » لتصبح « صورة » وصفية ، لا سيما وانها تصاب في خاتمتها باجهاض ظاهر يتجلى في خضوع الحامي للحرمان ، وفي إلغاء الازمة بتأجيلها .

اما السرد القصصي في « صندوق الدقيق » فيجري على طرار كلاسيكي لا تجديد فيه من حيث التقنية ، ومن المآخذ التي توجه للكاتب انه يدس نفسه احياناً في سياق السرد بتعليق او بشرح[1] ويكثر من المرادفات التي تثقل العبارة على غير طائل . و لكن له — على اي حال — نفساً قصصياً يعد بالخير .

واما قصة « اجهدي بالدعاء الاخر » بقلم م . زيتون[2] فلا اتردد بان اصفها بأنها من روائع قصصنا العربي الحديث . انها مونولوغ داخلي لطفل من اطفال اللاجئين يناجي امه التي تقصد الكنيسة كل يوم احد لتطلب له ولاخوته خبزهم اليومي ، فيحدثها حديثاً بسيطاً صادقاً نابعاً من اعماق السذاجة ، ويسألها عن دعواتها وكيف يستجيبها الله ، ويصارحها بان هذا القربان المقدس الذي يضعونه لا يقيم اودهم .. ويظل يسائلها حتى نعلم انها ذهبت يوماً ولم تعد : « ايجوز انك ذهبت لتقابلي الله في مكان آخر ؟

---

١ من ذلك قوله عن بائع الاقشة وهو يشد القطعة بين يديه باجهاد « وليس الشد في الواقع من العنف في شيء ، وانما هو بعض من حذق وفن ومهارة امتاز بها الباعة في سوق المدينة في حلب » — «ولكن الحاج بكرياً الحيام ما بارح مكانه ... بل ما رد التحية وهي اضعف الايمان !»

٢ لا ادري لماذا يصر الكاتب على الاكتفاء بالحرف الاول من اسمه الأول !

ذكريه اذن بالمعجن ... » وان هناك صلاة في غير يوم عيد ، وان الجرس يقرع : « ايتها الام الطيبة ، املك تهمين بارسال دعاء آخر » اجل فقد ذهبت الى بعيد ولن تعود ، وخلفت أبناءها في الجوع الذي قتلها .. ولكن ما ابرع ما يعبر الكاتب عن ذلك ! وما اروع هذا الغموض الذي يسربل به حديث الطفل ! وكم هو قادر على بث طاقة التوتر في جو تلك الصلوات الحارة تصعدها الام المنكوبة ! ان هذه القصة تعد نموذجاً حياً للقصص الانساني العميق الذي توحيه النكبة ، ولا بد ان يمضي م . زيتون قدماً في كتابه القصة ، فان ما نشرته له « الآداب » حتى الآن يبشر بنتاج انساني رفيع ، ولعله سيجهد ، هو ايضاً ، بتعزيز لغته وتمكين اسلوبه وتنقيته .

الابحاث

تبنت « الآداب » بحث الاستاذ سعدون حمادي « قضية القومية العربية مشكلة وحلاً واسلوباً » اذ نشرته افتتاحية في العدد الماضي . والحق انه من اروع الابحاث الواعية التي تتناول القضية العربية من مختلف زواياها ، وهو يعالجها معالجة تهتم بجميع الابعاد ، وتحاول ان تضع نظرية شاملة محكمة البناء تكتشف الطريق الصحيح للنهضة .

وليس في نيتي ان الخص البحث ، كما يفعل بعض ناقدي « الآداب » ؛ كما اني لا املك ان اناقشه ، فما دام يقصد الى وضع شبه نظام لهذه القضية ، فهو يحاول ان يجد لها فلسفة نظرية وعملية ، وانا اترك لفلاسفة الفكرة العربية ان يبدوا رأيهم في الموضوع . وقصارى ما اقوله ان البحث قد استجاب المفاهيم العامة التي كنت قد كونتها فيما يخص هذه القضية ، واستعرضها بتفصيل واف اعجبت به اشد الاعجاب . اما ما قد يكون فيه من فجوات ، فادع ذلك لمن هم اجدر مني واقدر ، وان كان هذا لا يمنعني من القول بان البحث قائم على اساس من الدراسة المنطقية المتسلسلة التي تعرض للامر في وضعه الراهن ، فتستجلي اسبابه وتلتمس له الشروح ، ثم تصف له العلاج . وقد ذكرني هذا البحث بمثيل له كتبته الشاعرة العراقية الآنسة نازك الملائكة ، ونشرته « الآداب » في العام الماضي بعنوان « التجزيئية في المجتمع العربي » ، ففي المقالين درس رصين صابر يعتمد الاسلوب العلمي ويقوم على الاستقصاء ، ويعنى بالمقدمات والاسباب والنتائج .

واما بحث الاستاذ سليمان موسى عن « لورنس في الميزان » فهو حقاً « بحث الشهر » بما تضمنه من تحقيقات غنية وملاحظات دقيقة تضع الامور في نصابها وتكشف اسطورة تداولها الناس وما يزالون يتداولونها ، حتى كادت تبلغ مستوى الحقائق التي لا يُشَكّ فيها . ولئن كان يؤخذ على « الدنغتون » عنف لهجته ومرارة هجومه على لورنس ، فان ما تكشف عنه تحقيقه من وقائع وتعليلات جدير بكل تقدير واعتبار . انه يفضح اكاذيب ، ويظهر مبالغات مغرضة ، وتمجيدات تتجاوز الحد المنطقي المعقول .

وقد اسهم الاستاذ سليمان موسى في توكيد هذه الملاحظات ، بمشاركته الواسعة في الاطلاع على قضية لورنس ، عبر الكتب التي قرأها والاشخاص الذين اجتمع بهم ، وكان اهم ما توصل اليه فضح الوهم المسيطر « بان لورنس كان مخلصاً للعرب وقضيتهم » . ولنا نحن العرب ، في هذا الصراع العنيف الذي نعيشه اليوم لنؤكد ذواتنا ، ان نلتمس العبرة من هذه القضية ، فنؤمن بان خلاصنا لن يكون الا بيدنا ، من داخلنا نحن ، وان ما يأتينا من الخارج ما هو الا تضليل وتخدير وتأخير ليقظة وعينا .

ولقد كنت تابعت ما أثاره كتاب الدنغتون من نقاش في الصحف الفرنسية بعد صدور ترجمته بعنوان « لورنس الكذاب » فأحسست بقصور شديد في صحفنا التي لم تتناول

الى مدراء المدارس واساتذتها

تقدم لجنة التأليف المدرسي في بيروت

احدث الكتب وادقها انطباقاً على نظريات التربية الحديثة .

•

كيف اكتب : سلسلة حديثة في الانشاء العربي

الجزء الاول ٩٠ — الجزء الثالث ١٣٥

« الثاني ١١٥ — « الرابع ٢٠٠

التعويف في الادب العربي

للاستاذ رئيف خوري

الجزء الاول ٦٥٠

الجزء الثاني ٦٥٠

الجديد في دروس الاشياء : سلسلة كتب حديثة في العلوم

الجزء الاول ٨٠ — الجزء الثالث ٢١٠

« الثاني ١٢٠ — « الرابع ٣٠٠

احداها هذا الموضوع الخطير ، الى ان وافى الاستاذ موسى « الآداب » ببحثه القيم الضافي الذي لا اتردد في تفضيله على بحث جديد في الموضوع نفسه كتبه مانس سبيربر Manes Sqerber أخيراً[1] . صحيح ان هذا البحث يحاول ان يدرس قضية لورنس درساً نفسياً واجتماعياً ، ولكنه يظل اقرب الى التجريد من بحث كاتبنا العربي الذي يعيش القضية في جلده ونفسه فتظل ألصق بالحياة وأحفل بنكهة الواقع .

و «الجرذان والرواية المعاصرة » من الابحاث القيمة التي يصل بهـا الاستاذ محيي الدين محمد « الآداب » متناولاً قضايا الادب الحديث . وهذه الدراسة تمتاز بالمعنى والشمول وترسم ما ترمز اليه الجرذان في الروايات الغربية الحديثة من معان ورموز ، ابرزها الموت ، وتصور تطور الصراع الذي يقوم به البشر تجاه الموت .

ولكن لا بد من ان اورد ملاحظتي على اسلوب الكاتب ولغته . فان هذا الاسلوب متفكك واهن الرابطة في كثير من الاحيان ، حتى ليبدو وكأنه ترجمة سقيمة لنص اجنبي . ان الكاتب لا يعنى البتة باوصاله ، وعلى القارىء ان يبذل جهداً قليلاً او كثيراً ليربط بين اجزاء العبارة ويتابع تطور الفكرة واكتمال المعنى ، وهو يلقى في ذلك قدراً من المشقة . واحسب بعد ذلك ان ابحاث الاستاذ محيي الدين محمد ، على غناها واتساع الثقافة فيها ، تحتاج الى تركيز ، او على الاصح الى تخطيط للافكار وتوضيح للاتجاهات .

وأما بحث الدكتور محمد عبد الرحمن مرحبا عن قانون العلية وحرية الارادة عند برتراند رسل ، فيبسط تبسيطاً مستساغاً قضية هامة من القضايا التي مافتىء الفلاسفة منذ القديم يهتمون بها في تفسير العلاقة بين العلة والمعلول ومحاولة « تقعيد » هذه العلاقة بحيث تصبح ناموساً وقانوناً . وأهم منا في البحث درس صلة الارادة الانسانية بالقوانين العلية . فنظرية رسل تذهب الى ان هذه الارادة حرة مع خضوعها خضوعاً تاماً لهذه القوانين ، وهو يرد هذا الذي يبدو متناقضاً الى ان بين العلة والمعلول علاقة تبـادل لا علاقة اجبار .

واعتقد ان قراء « الآداب » سيفيدون من امثال هذه الابحاث العلمية الفلسفية في الاطلاع على تطور التفكير العـالمي الحديث . واحسبهم يستزيدون الدكتور مرحبا الذي تخصص فيها تخصصاً مكيناً ، وهم سيجدون في هذا العدد بالذات مقالاً يمكن اعتباره تكملة لهذا المقال القيم .

وتدافع السيدة اسمى طوبي في مقالها « الاديب الميت » عن حق الاديب في ان يكون ملك نفسه ، لا ملك الامة ولا ملك التاريخ ، اي ان يحتفظ لنفسه باسراره ، وتذهب الى ان المؤرخين انما يجنون على الادباء الاموات حين يكشفون عن اسرارهم في الوثائق او الكتابات الخـاصة التي خلفوها .

واني اوافق الكاتبة على ذلك ، الا في حالة واحدة ، هي ان يكون في هذه الوثائق والكتابات الخاصة ما يضيء جوانب خافية من انتـاج الاديب المنشور ، فيكسب هذا الانتاج ، تحت ذلك الضوء ، قيمة لم تكن له من قبل . ذلك ان الاديب ليس ملك نفسه وحدها ، والا وجب عليه ان لا ينشر انتاجه . اما اذا نشره فمن واجبه ان يكون صريحاً فيه غاية الصراحة ، ومن حق القارىء ، اذا لم يجد في هـذا الانتاج القدر الكافي من الصراحة ، ان يلتمسه في اسرار الكاتب المخبوءة .

الأبواب

يثير استغرابي دائماً الا يتناول ناقدو الاعداد الماضية من « الآداب » هذه الابواب الكثيرة التي تنبض بالحياة ، والتي لا أشك في ان معظم القراء يقبلون عليها قبل سواها من الابحاث والقصائد والقصص . ولا اذكر ان ناقداً واحداً قد تحدث عن هذه الابواب ، كأنما هي تحوي مادة غير جديرة بالاهتمام ، او كأنما لا ترسم خير رسم وضع الادب الراهن في الشرق والغرب . فان باب « النتاج الجديد » ينبغي له ، مبدئياً ، ان يعطي صورة واضحة عن آخر الآثار الادبية ، ومثل هذا الباب يُعطى أهمية كبيرة في الصحف الأدبية والاجنبية . ويقتضيني الاخلاص لرسالة « الآداب » أن اعترف هنا بان هذا الباب ، كما تقدمه المجلة ، يشكو بالاجمال الضعف والهزال ، ويستحق ان يكون أحفل وأغنى ، وان تجند له « الآداب » اقلاماً نقدية قوية وصريحة ، فقد كف النقد عن ان يكون « مهنة طفيلية » ليصبح ابداعاً وخلقاً جديداً ، ولا مفر لي هنا من من ان أعِدَ القراء والمؤلفين بتحسين هذا الباب وإيلائه مزيداً من العناية .

واما باب « مناقشات » فاحسب ان معظم القراء يجدون فيه فائدة ... ومتعة ! لما الفائدة ، فصادرة عمـا يولده الاحتكاك الفكري من آراء وتأملات وملاحظات قد تتميز كلها بالجدة ، بالنسبة الى مفاهيم القارىء المقررة . واما المتعة .. فهي متعة التفرج على كل نزاع او معركة او مصارعة .. ولكن قلم التحرير يحرص دائماً على الا يبلغ الصراع بين المتنازعين حد اسالة الدم ، اي المهاترة .. وهو لذلك يسمح لنفسه ان يسقط بعض العبارات الجارحة ، او هو قد يلغي احياناً مناقشة برمتها محاولاً دائماً ان يكون موضوعياً وغير متحيز لأحد . وقد سبق للمجلة ان استفتت قراءها حول هذا الباب : أيبقى ام يُلغى ، فأيد معظم القراء ابقاءه ، وهو من غير شك باب حي يتيح لجميع القراء ان يشاركوا في ابداء آرائهم ، فيتم بذلك

[1] راجع العدد ٥ ٥ من مجلة Preuves .

لون من التجاوب بين القراء يجعل منهم اسرة واحدة .

واعتقد ، بعد ذلك ، ان بابي « النشاط الثقافي » في العالم العربي وفي الغرب هما اهم ابواب المجلة من حيث انهما يحاولان ان يعطيا القارىء صورة اقرب ما تكون الى الصدق عن الوضع الأدبي في البلاد العربية والأجنبية . ففي العدد الماضي مثلاً دراستان خطيرتان عن الأدب الفرنسي المعاصر والمسرح السوفياتي الحديث وهما صورة لتطورين هامين في ادب كل من الامتين . وفيه كذلك تصوير عميق لظاهرة ادبية تتهدد الثقافة العربية في مصر تهدداً خطيراً ؛ ولا بد لي هنا من ان ابعث بتحية حارة الى هذا الأديب المجهول ، مراسل الآداب في مصر ، الذي يحرر رسائل شهرية على غاية من الأهمية والقيمة ، من حيث انها تعرض للاحداث الادبية من زاوية واعية جداً تقصد الى تأصيل الانتاج العربي الحديث وإكسابه شخصية متميزة مستقلة تنسجم مع الانتفاضات العنيفة التي يتمخض بها الوطن العربي في محاولة بطولية لتوكيد ذاته .

بقي باب « قرأت العدد الماضي من الآداب » . وحسبي ان اؤكد ان القراء جميعاً يبدأون به ، وان هذه المناقشات الحارة هي ابنته الأولى . فحري بكل من يتولاه ألا يوفر سلفه ، فهناك كثير من الكتاب الذين يُنتقدون على غير حق يؤثرون ان يصمتوا ، بانتظار ان يتصدى لنقدهم من ينصفهم منه .

★

وبعد ، فأحب ان انهي هذه المراجعة للعدد الماضي من الآداب بملاحظة تكاد لا تخفى على أحد : إن كتاب ذلك العدد هم جميعاً من الادباء الشباب ، من هؤلاء الذين ليست لاسمائهم شهرة واسعة عريضة . ولكني أحسبهم يمثلون نماذج صادقة لهذا الجيل الجديد من الادباء العرب بانتصاراته وعثراته ؛ هذا الجيل الذي يكاد الآن وحده يتسلم مقدّرات الادب الجديد ، والذي عليه تعقد أمتنا العربية أجمل آمالها ، وتنتظر منه دائماً ان يسهم بقسط وافر في المعركة الكبرى التي تقودها من أجل حريتها ورفعتها .

سهيل ادريس

من مطبوعات

دار المعارف

مجموعة نوابغ الفكر العربي

صدر منها :

ابن رشد	اخوان الصفاء
الجاحظ	بشار بن برد
الشيخ نجيب الحداد	بديع الزمان الهمذاني
محمود سامي البارودي	ابو الفرج الاصبهاني
ابن زيدون	ابن الرومي
الشيخ ناصيف اليازجي	الفرزدق
	السهروردي

ثمن الكتاب ١٢٥ غ. ل .

مجموعة ذخائر العرب

صدر منها :

مجالس ثعلب (جزءان)	حي بن يقظان
جمهرة انساب العرب	الورقة
اصلاح المنطق	المغرب في حلى المغرب (اول وثان)
رسالة الغفران	نسب قريش
ديوان ابي تمام (اول)	اعجاز القرآن
حيلة الفرسان وشعار الشجعان	
شرح لزوميات ما لا يلزم (اول)	
طبقات فحول الشعراء	الغصون اليانعة
ثلاث رسائل في اعجاز القرآن	تهافت الفلاسفة

مجموعة فنون الادب العربي

صدر منها :

الغزل (اول)	الوصف
الغزل (ثان)	المقامة
الرثاء	النقد

باقي الموضوعات تحت الطبع ثمن الكتاب ١٢٠ غ . ل .

تطلب من متعهد التوزيع

دار المعارف بيروت

لصاحبها أ . بدران

بناية العسيلي ، السور — ص . ب ٢٦٧٦

ومن جميع المكتبات الشهيرة في البلاد العربية